سلسلة المقالات المنهجية

(٥)

الهَمَجُ الرَّعاع

وِدِفَّةُ الدعوة

للشيخ الدكتور

أبي عبد الرحمن عِيد بن أبي السعود الكيال

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدْوانَ إلَّا علَى الظالمين، وأشهد أَلَّا إله إلَّا الله وَحْدَهُ لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عَبْدُهُ ورسولُهُ، صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّمَ، أمّا بعد :

فقد روَى الحافظ الفقيه الأُصوليُّ أبو بكر أحمد بن عليِّ بن ثابتٍ الخطيب البغدادي (ت٤٦٢هـ) في كتابه «الفقيه والمُتَفَقِّه» (١/ ٤٩، وما بعدها) تحت «باب: ذِكْر تقسيم أمير المؤمنين عَلِيُّ بن أبي طالبٍ أحوالَ الناس في طلب العِلْم وتَرْكِه» عن كُمَيْل بن زياد النَّخعي قال: أخَذَ عليُّ بن أبي طالبٍ بِيَدِي فأَخْرَجَني إلىٰ ناحية الجَبَّان، فلمَّا أَصْحَرَ[1] جلسَ ثُمَّ تنفَّسَ ثُمَّ قال:

((**يا كُمَيْل بن زياد ، احفظ ما أقول لك: القلوبُ أَوْعِيَةٌ ، خيرُها أَوْعاها ، الناسُ ثلاثةٌ: فعالِمٌ رَبَّانِيٌّ ، ومُتَعَلِّمٌ علىٰ سبيل نَجَاة ، وهَمَجٌ رعاعٌ أَتْباعُ كُلِّ ناعِق ، يَميلُون مع كُلِّ رِيح ، لَمْ يستضيئوا بِنور العِلْم ، ولَمْ يَلْجَأُوا إلىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ** ...))٠

قال الخطيبُ البغداديُّ تعليقًا علىٰ هذا الحديث:

((هذا الحديث مِنْ أحسن الأحاديث مَعْنًى، وأشْرَفِها لَفْظًا، وتقسيم أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ الناسَ في أوَّلِهِ تقسيمٌ في غاية الصحة ونهاية السَّدَاد؛ لأنَّ الإنسان لا يخلو مِنْ أحد هذه الأقسام الثلاثة التي ذَكَرَها مع كمال العقل وإزاحة العِلَل، إمَّا أن يكون عالِمًا، أو مُتَعَلِّمًا، أو مُغْفِلاً للعِلْم وطَلَبِه، ليس بعالِمٍ ولا طالبٍ له٠

فالعالِمُ الرَّبَّانِيُّ: هو الذي لا زيادةَ علىٰ فضلهِ لِفاضِلٍ، ولا مَنْزِلَةَ فوقَ مَنْزِلَتِهِ لِمُجْتهِدٍ، وقد دَخَلَ في الوصف له بأنَّهُ رَبَّانِيٌّ، وَصْفُهُ بالصفات التي يقتضيها العِلْمُ لِأَهْلِهِ، ويمنع وصفه بما خالَفَها٠

ومعنَى الرَّبَّانِيِّ في اللُّغة: الرفيعُ الدرجةِ في العِلْم، العالي المَنْزِلَةِ فيه، وعلىٰ ذلك حَمَلُوا قولَ الله تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]٠

أنا[2] أبو بكر ... عن مجاهدٍ قال: «الرَّبَّانِيُّون: الفقهاء، وهُم فوق الأحبار»٠

أنا القاضي ... عن أبي رزين في قوله: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: «فُقهاءٌ عُلماءٌ»٠

قرأتُ علَى الحسن ... سألتُ ثعلبًا عن هذا الحَرْف (رَبَّانِيّ) فقال: سألتُ ابنَ الأعرابي فقال: «إذا كان الرَّجُلُ عالِمًا مُعَلِّمًا، قيل له: هذا رَبَّانِيٌّ، فإنْ خَرَمَ عن خصلةٍ منها لَمْ يُقَلْ له رَبَّانِيٌّ»٠

وبلَغني عن أبي بكر ابن الأنباري عن النحويين أنَّ «الرَّبَّانِيِّين» منسوبون إلَى الرَّبِّ، وأنَّ الألِف واللام زِيدَتا في النَّسَب، كما تقول: لِحْيَانِيٌّ جُمَّانِيٌّ، إذا كان عظيم اللِّحْيَة والجُمَّة٠

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ١٢) : ((أَصْحَرَ الرَّجُلُ: إذا دَخَلَ في الصحراء)) اهـ٠

(٢) «أنا» : اختصار (أَخْبَرَنا) في مصطلح المُحَدِّثين٠

وأمَّا المتعلِّمُ علىٰ سبيل النجاة: فهو الطالبُ بتعلُّمِهِ والقاصدُ به نجاتَهُ مِن التفريط في تضييع الفروض الواجبة عليه، والرَّغبة بنفسه عن إهمالها واطِّراحها، والأَنَفَة عن مُجانَسَة البهائم، وقد نَفَىٰ بعض المتقدِّمين عن الناس مَن لَمْ يكن مِن أهل العِلْم.

وأمَّا القسم الثالث: فهُم المُهْمِلُون لِأَنْفُسِهم، الراضون بالمَنْزِلة الدَّنِيَّة، والحال الخسيسة، التي هي الحضيض الأَوْهَد، والهبوط الأسفل، التي لا بعدها في الخمول، ولا دُونها في السقوط -نعوذ بالله مِن الخِذْلان، وعدم التوفيق، والحِرْمان- وما أحسن ما شَبَّهَهُم الإمامُ عَلِيٌّ بالهَمَجِ الرعاع، والهَمَجُ: البعوضُ، وبه يُشَبَّهُ دُناةُ الناس وأراذِلُهم، والرّعاع: المُتَبَدِّدُ المُتَفَرِّق، والناعق: الصائح، وهو في هذا الموضع: الرَّاعِي، يقال: نَعَقَ الرَّاعِي بالغَنَم، يَنْعِقُ: إذا صاح بها، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١])) اهـ.

قال ابن كثير عند هذه الآية مِن سورة البقرة في تفسيره (١/ ٣٠٣) :

((﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: فيما هُم فيه مِن الغَيِّ والضلال والجهل، كالدَّوابِّ السارِحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نَعَقَ بها راعيها، أي: دعاها إلىٰ ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنَّما تسمع صَوْتَهُ فقط.

وقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ أي: صُمٌّ عن سماع الحق، بُكْمٌ لا يَتَفَوَّهُون به، عُمْيٌ عن رؤية طريقه ومسلكه، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون شيئًا ولا يفهمونه)) اهـ.

قلتُ: وهُم الذين وَصَفَهُم الله فقال:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالهمج الرعاع بعوضُ الناس، حَطَبُ الفتن ووَقُودُها في كل زمانٍ ومكان، يعبثون يُفسِدون يُخَرِّبون يلعبون يمرحون بِكُلِّ ما وَقَعَ في أيديهم، لا يُبالُون أَمِنَ الدِّينِ كان أم مِن الدُّنيا؟! لأنهم سفهاءُ أغبياء، لا فِقْهَ عندهم ولا حكمة، بل مَدَارُ الأمر عندهم علَى الهَوَىٰ والشَّهَوات، فكُلُّ ما يَهْوُونَهُ يركبونه؛ لا يردُّهم دِينٌ ولا عقل، كيف لا، وهُم لا عقول لهم ؟!

وبمثل هؤلاء يُسَفَّهُ أهلُ السُّنة وعلماءُ الأُمَّة الرَّبَّانِيُّون الذين قد وافَقَ قولَهم فِعْلَهم، لا خُلْفَ عندهم في ذلك، عَلِمُوا وعَمِلُوا وعَلَّمُوا، بهم يُقام الدِّينُ وتُرفَعُ شعائِرُه، وبهم يُذَبُّ عن السُّنة ويُدافَعُ عنها، وبهم يُحارَبُ أهلُ البدع والأهواء، ويُفْضَحُ أمرهم علىٰ رؤوس الأشهاد، ويُقْهَرون، ويُذَلُّون، ويُسفَّهون، ويُخْزَوْن، ويُبْعَدُون، ويُقْصَوْن، ومنهم يُحَذِّرون، ولِبِدَعِهم يَكْشِفون، ولِمَكْرِهم وغِشِّهِم وحِيَلِهم وكذبهم وتدليسهم يُظْهِرُون، لا يألون في ذلك جهدًا ولا سبيلاً، عاشوا دُنياهم لله وبالله وفي الله وعلىٰ أمر الله ورسوله، علىٰ مِثل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه الكِرَام الأطهار رضي الله عنهم.

وإنَّ المُتأمِّلَ بعين بصيرته في أحول الدعوة السَّلَفية الحَقَّة -حفظها الله وصانَها مِن عَبَثِ العابثين وهَوَى المُنحَرِفين- لَيَجِدَ ابتداءً: ندرةً عظيمةً في العلماء الرَّبَّانيين، وهُم قِلَّةٌ قليلةٌ في كل زمانٍ ومكانٍ بعد القرون الثلاثة الأُوَلِ الخيرية، وقد تَجِدُ مَن وَهَبَهُ اللهُ العِلْمَ مع إخْرَامِ خصلةٍ مِنْ خِصالِ الرَّبَّانيين فلا يصدق عليه ذلك.

ثُمَّ يَجِد المتأمِّلُ مُتعلِّمين علىٰ سبيل نجاةٍ، وهُم غالِبُ الدُّعاة إلَى الله علىٰ بصيرةٍ، الذين يبدأون بأنفسهم فيُعَلِّمُونها لِتَنْجُوَ ابتداءً مِن الهَلَكَة، وذلك بتعلُّم الفرائضِ والواجبات والسُّنن والمُستحبَّات لِيأْتُوها، والحرامِ والمكروهِ لِيَجْتنبوه، وقد يُحَوِّلُون المباحَ الجائز إلىٰ مندوبٍ إليه بحُسنِ النِّيَّة، ثُمَّ تَجِدهم يجتهدون في تَعَدِّي نَفْعِ ما علَّموه إلىٰ غيرهم، لِيعمَّ الخيرُ الناسَ أجمعين ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، فتَجِدهم يُحَقِّقُون مسائلَ الشريعة مسألةً مسألةً، والمجتهدُ غيرُ المُقَصِّرِ منهم، الحاملُ لِهَمِّ الدعوة إلَى الله، ليس بينه وبين درجة العالِم الرَّبَّانِيِّ إلَّا الاتِّساع في الاطِّلاع والتَّعَلُّم والبحث والنَّظَر علىٰ منهج الاستدلال السَّلَفيِّ الصحيح، منهجِ الدليل، إذ العِلْمُ ما جاء به الدليلُ، فكان أمرُهم علَى العِلْمِ والعَمَلِ والدعوة إليهما.

وبين الرَّبانِيِّ والمتعلِّم علىٰ سبيل النجاة تَجِدُ في سُبُلِ الدعوة مُتَسَكِّعين، مُتَنَطِّعين، مُتَفَلْسِفين، مُتَبَجِّحِين، مُتَسَفِّهين، سُفهاءَ، جُهَلاءَ، لا ناقةَ لهم ولا جَمَلَ في عِلْمٍ ولا تعليم، أرادوا أن يُزاحِمُوا الرَّبَّانيين والمتعلِّمين علىٰ سبيل نجاةٍ، فيما وَصَلوا إليه بجهدهم ونَصَبِهِم وحَمْلِهِم للهُمُوم، فما كان بين أيديهم لهذه المُزاحَمَة إلَّا الكذب والغش والحِيَل والمَكْر والتَّزَيُّنِ بما لَمْ يُعْطَوْا، ولَيِّ الأَلْسُنِ بالجهالات لِتَحسبوه مِن العلوم وما هو مِن العلوم، والرغبة في التصدُّر والتكلُّم في دِين الله، وحب الظهور والترأُّس وكثرة السَّوادِ حَوْلهم، وكانت الأداةُ الفعَّالةُ لِإفسادِهم وتخريبهم: الإنترنت وصفحات الفيس بوك، فيخرج السفيهُ الإِمَّعَةُ الجهولُ منهم -وكُلُّهُم كذلك- لِيُنَفِّسَ عن النقص الشديد الذي أُصِيبَ به مِن قِلَّة العِلْم، وانعدام التَّمَيُّز بدرجةٍ مِن الدَّرَجاتِ العِلْمِيَّة الدعوية، فيخرج لِيُسَفِّهَ ممَّن عَجَزَ هو أن يَصِلَ إلىٰ درجتهم -وأَنَّىٰ له هذا ؟!- فيصير حالُهُ حالَ مكروبٍ مهمومٍ بأوجاع الجهل والخِذْلان والنقص النفسيِّ الذي يدفعه في بعض الأحيان إلَى ادِّعاء ما ليس له؛ لأنه سفيهٌ مريضٌ ناقصٌ مَوْتُورٌ، لا يرىٰ أمامه ولا يسعىٰ إلَّا فيما يُقِيمُ حالَهُ ويُصلِحُ عِوَجَهُ في أعين الناس، بالزور والبهتان والتَّشَبُّعِ بما لَمْ يُعْطَ، وأَمْرُهُ بَيِّنٌ جَلِيٌّ مكشوفٌ عند أهل البصيرة، وحاله: كالهِرِّ يحكي انتفاخًا صَوْلَةَ الأسدِ، وهو دائمًا -كأُنْمُوذَج للهمج الرعاع- في دائرةٍ مغلقة تدفعه دَفْعًا لِإحداث الوسائل والطُّرُق التي يعلو بها اسمه، ويذيع صيته -زعمًا منه- ولو بالباطل، حتىٰ يتمرَّسَ علىٰ أنواعه، حتىٰ يصبحَ مُدافعًا عن الباطل قائمًا به وله.

والحاصل أنهم طوائف شَتَّىٰ، وأصناف عِدَّة، كلهم علىٰ قلب رَجُلٍ واحدٍ، وصفاتٍ واحدةٍ، فيتقوَّىٰ بعضُهم ببعضٍ، حتىٰ كانت منهم جماعةٌ وفِرْقَةٌ تَصُدُّ عن الحق، وتدعو إلَى الباطل والضلال باسْمِ السُّنة والدعوة إلَى الله، ولقد عَلِمْتُ أَمْرَهُم وخَبَرْتُهُ، فمنهم مَن دَنَّسَ لِحْيَتَهُ علىٰ صفحات الإنترنت، وفي الطُّرُقات، بعلاقاتٍ نسائية مُحَرَّمة، قد سُجِّلَ له طَرَفٌ منها، وهذا الأُنموذجُ مثالٌ لرؤوسهم !! فما ظَنُّكَ بأذْيالِهم ؟!

الهِرُّ منهم يُحْبَسُ نِصْفَ يومٍ، فيقول إخوانُهُ مِن الجُرْذان: شيخَ المِحْنةِ يا رمضان !

ألا شاهَتْ وجوهُ الخِرْفان، وطُمِسَتْ كلماتُ الخَرْفان !

الهِرُّ منهم يُقَبِّلُ رأسَ الرَّجُلِ مِنْ أهل السُّنة، وبين عَشِيَّةٍ وضُحاها يُسَفِّهُهُ بِهَوًى وبُهْتٍ !

ومنهم مَن توَرَّطَ في معامَلاتٍ مالية تُشِينُ العامِيَّ -فضلاً عمَّن يَدَّعي أنه مِن طلبة العِلْم- وأنا أعلمهم بأسمائهم، ومنهم... ومنهم...

في منظومةٍ أخلاقيةٍ نَتِنَةٍ عَفِنَة، قد فاحتْ رائحتُهم، وعَمَّتْ فضائحُهم ونَتَنُهم، وهُم بهذه الشاكلة يرغبون في تعليم الناسِ دينَهم !

فإذا كان ذلك كذلك فقد تَنَزَّلَ عليهم قولُهُ تعالىٰ:

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]٠

فهُم الزَّبَدُ بِعَيْنِهِ، هُم الغُثاءُ والغباء٠

والأصل أنَّ الهَمَجَ الرعاع لا يُلْتَفَتُ إليهم ولا يُؤْبَهُ بهم، غير أنَّ قلة العِلْم، وكثرة المكر والحِيَل، وذيوع الجهل وانتشاره بين طلبة العِلْم، فضلاً عن عوامِّ الناس، جَعَلَ لِمِثْلِ هؤلاء وُجودًا في الواقع، كما أَثَّرَ الإخوانُ المسلمون في واقع بلاد المسلمين، مع عِلْمِ البصير أنهم لا شيء، وقد يتعيَّنُ في بعض الأحايين شرحُ الواضحات، وتَبْيين البيِّنات، وتجلية الجليَّات٠

أضِفْ إلىٰ ذلك، عنصر الاحتياج المالي الذي ابْتُلِيَ به الكثير الكثير مِن طلبة العِلْم، وهو عنصرٌ فعَّالٌ في تغيير الحق، وتشويه المعتقَد، وتصيير الصدقِ كذبًا، والرأسِ في الذَّبِّ عن السُّنة مُبْتَدِعًا، والعالِمِ جاهلاً؛ كما في الحديث: ((**إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فتنةً، وفتنةُ أُمَّتي المالُ**)) رواه الترمذيُّ في سُننه (٢٣٣٦) وقال: «حديث حسنٌ صحيح»، والحاكمُ في المستدرك (٧٨٩٦) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وأحمدُ في المسند (١٧٤٠١)٠

ولا يكون ذلك إلَّا مِن سوء الظن بالله، وغياب اليقين بحِكْمَتِهِ، والجهل المُفْرِط بأصول السُّنة٠

ولقد ترَكَ الهمجُ الرعاعُ جُرْذانُ أهلِ السُّنة أَهلَ البدع والأهواء، والْتَفَتُوا الْتِفاتةً كُلِّيَّةً لِمَنْ خالَفَ هواهُم مِنْ أهل السُّنة، فنشَطُوا في تسفيهه والنَّيْلِ منه، وهذا مؤشرٌ خطيرٌ علىٰ فساد دعوة أهل السُّنة؛ لفساد الوسَط الدعوي، وكثرة الجهل، وإلَّا فلا تؤثِّر دعوةُ الباطل علَى الحق، فتَجِدهم يُحَذِّرون مِنْ أهل السُّنة في القُرىٰ والأمصار، ولا يكون تحذيرهم إلَّا سببًا في تمكين دعوة أهل السُّنة في القُرىٰ والأمصار٠

غير أنه: غلبة الدَّخَلِ، والدَّغَلِ، والحقد، والحسد، وفساد القلوب علىٰ أصحابها، فيفتضحون علىٰ ألْسِنة أنفسِهم، وليسوا علىٰ شيءٍ، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]٠

لقد تحوَّلتْ طوائفُ مِن طلبة العِلْم إلىٰ عصاباتٍ وبلطجِيَّةٍ وشَبِّيحَةٍ وقُطَّاعِ الطريق إلَى الله، باسْمِ الله ورسولِهِ ومنهجِ السَّلَف ! أمرهم إلىٰ خسارةٍ وتَلَف، وبهتانٍ وعصيانٍ وسَخَف، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]؛ ولذلك تَجِدُ هؤلاء الجُرذان قد تجَسَّدَ الغباءُ كُلّ الغباء في أشخاصهم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]٠

ومع كل ما وصفتُ به هؤلاء العُمْيَ، فهذا مِن باب إحسان الظن بهم؛ لأنِّي علىٰ ظاهر ما تقدَّمَ لا أُخْرِجُهُم مِن السُّنة، لكن لَمَّا تأمَّلْتُ في بُغْضِهِم الشديد، ودأبِهم في الصَّدِّ عمَّن اشْتُهِرَ عنه أنه كالصارم المسلول علَى المبتدعة في سُنة رسولِ الله ﷺ، ومعرفتي أنَّ بعضَهم كان -وما زال خُفْيَةً- مِن المُقَرَّبين ممَّن بدَّعَهُم العلماء وأخْرَجُوهم مِن دائرة أهل السُّنة إلىٰ هاوية الابتداع، عَلِمْتُ أنَّ الأمر في أصلِهِ وحقيقتِهِ صراعٌ بين السُّنةِ وأهلِها، والبدعةِ وأهلِها، في بعض وجوه هذه الصراعات الزائفة٠

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]٠

قال ابنُ منظور في «لسان العرب» (٢١/ ١٨٠٣) (زبد):

((زَبَدُ اللَّبَن: رَغْوَتُه ، والزُّبْدُ -بالضم- خُلاصة اللبن)) اهـ٠

قال الحافظ ابنُ كثير في تفسيره (٤/ ٢٨٣) :

((ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾ أي: لا يُنْتَفَعُ به، بل يتفرق ويتمزَّق ويذهب في جانبَيِ الوادي، ويَعْلَقُ بالشَّجَر، وتَنْسِفُهُ الرِّياحُ، وكذلك خبثُ الذَّهَب والفضة والحديد والنحاس يذهب لا يرجع منه شيءٌ، ولا يبقىٰ إلَّا الماء وذلك الذهب ونحوه يُنْتَفَعُ به)) اهـ٠

وقال القرطبي في تفسيره (٩/ ٢١٥) :

((وهو أنَّ المَثَلَيْنِ ضَرَبَهُما اللهُ للحقِّ في ثباتِهِ، والباطلِ في اضمحلالِهِ، فالباطلُ وإنْ عَلا في بعض الأحوال فإنه يضمحلُّ كاضمحلال الزَّبَدِ والخبث)) اهـ٠

والذي ينبغي علىٰ كل مَن ادَّعىٰ أنه سَلَفِيٌّ، نصرةُ السُّنة وأهلِها، ولو كان منهم مَن قَتَلَ أباه أو وَلَدَهُ، فإنَّ الضابطَ الذي تُقامُ به المعاملاتُ، والمُعَوَّلَ عليه الذي يحكم التصرفات: صلاح المنهج واستقامته علىٰ مثل ما كان عليه النبيُّ وأصحابهُ، وعلىٰ ذلك سُوقُ الحُبِّ والبُغْض، والمُوَالاةِ والمُعاداة، فإذا قامتْ علىٰ غيره هَلَكَ القومُ وأهلكوا، كحال الهَمَجِ الرعاعِ البُهْتِ المُتَمَرِّسِينَ للمُنكَرِ والكذبات، مَرَدُوا علَى النفاق والسيئات٠

فهل يُزَاحِمُ الزُّبْدَ غُثاءٌ ، يَتَرَنَّحُ تَرَنُّحَ السَّكْران ونُهُوضَ المصاريع؟! وهل تُحَوِّلُ الحسراتُ والرَّغواتُ أحلامَ العاجزين مشاريع؟! وهل لِمَنْ خَرَّبَ السُّنَّةَ بِاسْمِها، له بِمَكْرِهِ وصَدِّهِ عنها إلَّا الفقاقيع؟!

شَتَّانَ بين الضَّمِّ والفَتْحِ يا رعاع ! وهل يفهم الهَمَجُ البَعُوضُ المواضيع؟!

فنعوذ بالله مِن السَّفَهِ والغباء والغِلِّ المُدَمِّرِ لِأصحابه، وأن تَؤُولَ دِفَّةُ الدعوة إلَى الهَمَجِ الرعاع، فهُم يسعون إليها ليلَ نهارَ ، لا مَكَّنَهُم الله منها وصَدَّهُم بِعِزَّتِهِ عنها، وحَفِظَ الله للمسلمين دِينَهم وسُنَّتَهم، بِزُبْدِ الدُّعاةِ الرَّبَّانِيِّين، والحمد لله رب العالمين، واللهُ مِن وراء القصد، وهو يهدي السبيل٠

وحَفَرَها في صدور الخاسرين
سَيْفُ :
د/ أَبِي عبد الرحمٰن
عِيد بن أبي السعود الكيال
وكان الانتهاء مِن الجَوْلَة
منتصف ليلة السبت ١/ ذي الحجة/ ١٤٣٧هـ
كأوَّل عملٍ أتقرَّبُ به في الأيام العشر
إلَى العَزيز الحكيم سُبحانه